انهيار عدد من المواقع، وفي ظهور لا جدوى الكثير من الاعدادات التي كانت تتخذ لاسباب دعاوية صرفة. واشتهرت من بين هذه الحالات، كما سبق واشرنا، حوادث هرب بعض القادة، التي لم تكن، على اي حال، اخطر ما جرى.

واما الايجابيات فليس من الصعب الحديث عنها،وقد انشئت من اجل ذلك عشرات الدراسات والكراريس والكتب. وايجابيات منظمة التحرير هي، على كل حال، التي حمتها خلال دزينة من الاسابيع بينما كان الجيش الاسرائيلي، بقواته البرية والجوية والبحرية، متفرغاً لمحاولته اليائسة لزحزحة الصامدين في بيروت بضعة اشبار الى الوراء.

كان الغزو بمثابة المطرقة المنهالة على الحديد المحمى؛ وكان من شأنه ان يساعد على الفرز بين الصدىء والسليم من جسم الكتلة. والحقيقة ان الخارجين من حصار بيروت الى المنافي الجديدة حملوا معهم تجربة الحصار الحارة، وفي طياتها رغبة عارمة في الاصلاح الشامل. وكانت تلك هي رغبة الاغلبية دون التباس.

لكن ظروف الشتات الجديد أبهتت هذه الرغبة، ليس لان الحاجة الى الاصلاح صارت اقل او ان الرغبة فيه لدى المخلصين له تضاءلت، بل لأن العوامل ذاتها، التي حملت الفساد الى الساحة في السابق، ظلت تفعل فعلها ومنها ما تفاقم تأثيره، وكان هذا اقوى من رغبات الصالحين! فالطبيعة الطبقية لمنظمة التحرير لم تتبدل، وكونها ملتقى فصائل لاجئة لم يتغير، بل ان هذه الفصائل ازدادت لجوءاً، ان جاز التعبير، بعد الخروج من بيروت. اما تدخلات الدول العربية ومحاولاتها الهيمنة على المنظمة فقد تفاقمت.

ان هذا العامل الاخير، من بين العوامل كافة، يستحق وقفة اطول. ولا شك في ان الضربة العسكرية التي وجهت للثورة الفلسطينية عام ١٩٨٢ كانت قاسية، لا لأن الثورة دفعت ثمنا باهظا لصمودها، بل، ايضا، لانها خسرت آخر المواقع التي تمتعت فيها بقدر من استقلال الارادة والحركة. غير ان النتائج السياسية للغزو حملت، على نحو ما، عددا من الظواهر المواتية للمنظمة، واهمها البرهان على انها عامل هام لا يمكن تجاهله، وان القضاء عليها، كما املت اسرائيل، ليس في المتناول. وكان لهذا اهميته الفائقة، لولا انه جرى في وقت كان فيه العمل العربي المشترك ينحدر الى ما دون المبادرة السعودية التي عرفت باسم مشروع قمة فاس، ويبحث في واقع الامر عن صيغة تؤلف بين مشروع فاس هذا والحل الاميركي الذي تبلور عشية الخروج من بيروت في مبادرة ريغان.

لقد خرجت منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت لتواجه جواً عربيا مصمما، ليس فقط على ستر تقاعسه عن مقاومة الغزو بالتقليل من امجاد وانتصارات المنظمة، بل مصممما، ايضا، على الاستفادة من ضعف المنظمة لتطويعها لمتطلباته.

وربما كان الامر سيهون لو ان المتطلبات العربية متوافقة، اما وهي متباينة فقد ازداد الامر تعقيدا؛ وهكذا سعت غالبية عربية لجر المنظمة الى ما يمكن وصفه بالخط الاستسلامي العربي، فيما سعت سوريا لوضع المنظمة تحت ابطها كلية حتى تستخدم الورقة الفلسطينية لصالحها وبحجة الحيلولة دون وقوع المنظمة في براثن الاستسلام. اما ما اتفق العرب جميعا بشأنه فهو حاجتهم الى تطويع المشاغب المزمن والزامه آخر الامر بآداب الضيافة التي يقدمونها له.

وهكذا، تلخيصا، جاءت ظروف ما بعد بيروت بثلاثة مستجدات: اولها تصميم الاغلبية العربية على التحرر من دور منظمة التحرير في «تبويظ» الفرح العربي ـ الاميركي وحرص هذه الاغلبية على تدجين المنظمة حتى تأخذها معها الى الفرح؛ وثانيها انبعاث الخشية السورية المزمنة من «فتح» والتخوف السوري المزمن من ان يتوصل الفلسطينيون بمساعدة الاردن والسعودية ومصر الى تسوية من وراء ظهر سوريا، وتصميم السوريين على الاستحواذ على الورقة الفلسطينية